مدينـة بنغـازي
وقسـم تخطيط المـدن

الدكتور الهادي أبو لقمة

قسم الجغرافيا ـ كلية الآداب والتربية

جامعة قاريونس

مدينة بنغازي
وقسم تخطيط المدن(*)

الدكتور الهادي أبو لقمة

قد يكون من الملائم أن تتريث قليلا قبل أن نناقش صلب موضوع هذه الورقة ... اذ ربما يسعفنا الحظ فنجد تعريفا نحدد به المفهوم لكلمة المدينة لان مضمون التعريف المطلوب لا يزال غير محدد ان لم يكن مبهما لدى الغالبية[1] ، ذلك أن المعنى اللغوي لكلمة مدن يرادف لفظ استقر وبهذا يكون الاستقرار نهاية المطاف ... ولكن ألا يكون الاستقرار مرتبطا بسكنى القرية والريف اجمالا ، وعكس المعنى المباشر بمدلول الترحل .

« ان فكرة المدينة تتضح لكل منا بمقارنتها بقرية ما أو بذلك الطابع الذي نكونه عند أول زيارة الى جهات الريف ، فالاساس اللغوي وان عرف المدينة والقرية معا بالنسبة للترحل والبداوة ، الا أنه لايصلح أساسا لتعريف كل بالنسبة للآخر ، ويبدو أن فكرة المدينة واضحة لدينا جميعا ، فكلنا يعرفها بالقياس الى الريف والقرية ، ومع ذلك فان أحدا لم يعطها التعريف المقنع »[2] .

(*) أعدت هذه الورقة بمناسبة افتاح قسم تخطيط المدن بكلية الهندسة بجامعة قاريونس .

١ ـ د. هادي أبو لقمة ، مجلة كلية الآداب ، العدد الرابع ، ص ٢٢٩ .

٢ ـ د. جمال حمدان ، جغرافية المدن ، ص ٥٤

ان عملية تعريف المدينة على عكس ما يتوهم الكثيرون ، عملية ليست باليسيرة أو الهينة ، انها عملية تتميز بالتعقيد والصعوبة ، ولعل أبلغ دليل وشاهد على ذلك أن المهتمين والمختصين بشئون المدن لم يتوصلوا حتى الآن الى تعريف واحد للمدينة[٣] .

ورغم أننا نملك الآن عدة تعريفات الا أنها تختص بتحديد بعض الجوانب فقط تاركة فجوات لا يمكن التغاضي عنها الا لقصور متعمد وانما لبديهية تتمثل في كون المدينة كيان بالغ التعقيد ، يؤدي عدة وظائف في آن واحد وقد تتساوى جميعا في مرتبة أهميتها .

فبجانب التعريف اللغوي يمكن التعرف على ستة تعريفات تكون في جملتها صورة لما نحن في سبيل التعرف عليه ، فثمة تعريف يقول بأن المدينة كيان قانوني يخضع للقانون العام للدولة بمعنى أنها وحدة حكم لها حدود محددة بقانون وقادة يتمتعون بسلطات محددة .

أما التعريف الثاني فيقول بأنها وحدة اقتصادية انتاجية تقوم بتوفير سلعة وخدمات معينة للاستهلاك العام التي يتم تمويلها عن طريق فرض الضرائب والرسوم في حين يؤكد التعريف الثالث بأن المدينة ، ما هي الا وسيط للتفاعل .. انها نقطة التقاء وتجميع للبشر والافكار ، والسلع والتجارة مما يجعلها نقطة جذب للمواطنين لامتلاكها خاصتي التنوع وسرعة الحصول على كل شيء[٤] .

أما التعريف الرابع فيقول بأنها وحدة اجتماعية تضم حشدا من الناس يعيشون في مكان واحد . أما التعريفان الآخران فيذهب الاول

---

٣ ـ المنظمة العربية للعلوم الادارية ، ادارة المدن الحديثة ، القاهرة ، سنة ١٩٧٤ م ، ص ٩ .

٤ ـ نفس المرجع ، ص ١٠ .

على اعتبار أنها كانت دائما وان امكان ينبوع المعرفة للجنس البشري ، والمعين الذي لا ينضب لكل علم انساني والاشعاع الذي لا يفنى للتراث الثقافي ففي المدينة تتجمع مراكز انبعاث مختلف فروع المعرفة الانسانية .

« لقد كانت المدينة أول من قدرت للعلم مكانته ، وأول من عرفت مكانته وقدره . وفي النهاية فان المدينة ميدان وحلبة صراع البقاء الذي يخوضه الانسان المثقف المتعلم في عصر الفضاء والاقمار الصناعية والانفجار السكاني » .

أما التعريف الثاني فيرى بأن المدينة هي مكان مهد الحضارة والمختبر الذي انصهرت فيه الثقافة الانسانية : ـ انها منبت كل فكر جديد ، ومركز كل اختراع وابتكار وموطن كل تقدم .

وخلاصة القول انه يمكن من واقع التعريفات السابقة التوصل الى تعريف محدد للمدينة ... فالمدينة كيان قانوني ، ومركز توفير وأداء الخدمات العامة ، وبؤرة للتفاعل الانساني ، ومهد الثقافة البشرية والحضارة الانسانية ـ انها كل هذه الاشياء وفوقها أشياء أخرى ـ فهي مقر الحكمة وموطن الصناعات والتصنيع ، وبؤرة من الثقافات والقوميات ، ومركز التجارة ، ودار الفن ، وينبوع المعرفة والعلم ، كما أنها نقطة التقاء شبكات الطرق ، والمواصلات ، وبايجاز فان المدينة توجد حيثما يوجد الناس[٥] .

لقد باتت الصورة واضحة الآن . والسؤال هل من فائدة يمكن أن تزيد من ترسيخ ادراكنا لهذا التعريف اذا ما حددنا الوظائف المختلفة التي تؤديها مدن اليوم والتي تنحصر في ثمانية وظائف تندرج تحت ثماني مجموعات هي :

---

٥ ـ نفس المرجع ، ص ١١ .

الوظائف الحربية ، السياسية ، التجاريـة ، الصناعية ، الصحية ، الترفيهية وأخيرا الوظيفتين الدينية والثقافية .. ومع أننا لسنا بصدد ذكر الامثلة وما أكثرها كمدن قد تغلب احدى هذه الوظائف ، أو تسود على غيرها ، الا أننا لا بد وأن نقر أن عالم عصر التكنولوجيا قد قلل أهمية احدى الوظائف دون غيرها أو بتعبير آخر ندرة استغراق مدينة معينة لوظيفة محددة لان تخصص الوظائف والانصراف الى وظيفةواحدة يكاد يكون افتراضا نظريا بحتا لا يتحقق في الواقع[٦] .

وكما أن المعيار الوظيفي لا يحقق ابراز التعريف الجامع المانـع ، نرى أن التعريف الاحصائي ، الذي قد يكون باكورة البحث عن ايجاد المعنى الذي نبحث عنه ، يعجز هو الآخر في تحقيق الغاية . فقد تبنى المكتب الدولي للاحصاء اعتبار استقرار ألفي نسمة فأكثر في المكان الواحد انهـاء سمة طابع الريف أو القريـة عنهم كما في المانيا وتركيا وتشيكوسلوفاكيا وفرنسا ، واليوم ورغم تبني هذا الرقم على الصعيد الدولي ، الا أن الكثيرين لا يقرون ذلـك فالولايات المتحدة ترى أن يكون الحد الادنى ألفان وخمسمائة ، وفي الهند خمسة آلاف في حين ترى مصر أن يبدأ الرقم بأحد عشر ألفا ... كما أن تحديد كثافة سكانية معينة يتحول المكان بعدها من طابع الريف الى حياة المدينة يلقى نفس المصير هو الآخر .

لقد تبنت الجامعة العربية في اجتماع لهـا في بغداد سنة ١٩٥٥ م القول بأن المدينة هي المكان الذي يعيش به خمسة آلاف نسمة بهمدرسة ثانوية ومصرف .. أما في بريطانيا فان أي مكان يتحول الى مدينة بمجرد اعلان مرسوم بذلك ، « فكلمة (City) تعني مقر أو مركز الاسقف

---

٦ ـ د. جمال حمدان ، نفس المرجع ، ص ٣٣٩ .

حتى ولو كانت ريفية الطابع »[٧] وعموما يمكن القول اننا قربنا من نهاية المطاف ، لان الفرق بين القرية والمدينة يرجع أساسا الى التفرقة في نمط الحياة « اذ يكاد يكون من البديهي أن القرية هي ما عاش للزراعة وعلى الزراعة ، وان المدينة هي ما ليست كذلك .. فالزراعة وحدها أساسا هي نقيض المدينة ، ومع ذلك تعاني كل اللغات انعدام لفظ جامع نقيض للزراعة »[٨] .

عرف العالم الخارجي اسم مرسى بني غازي ، لأول مرة على أرجح الآراء سنة ١٥٧٩ م ، في حين صدر ذلك المصور الجغرافي ، الذي نشره الجغرافي التونسي علي بن أحمد الشيرافي[٩] ، واذا كان ظهور الاسم على ذلك النحو ، وارتباطه بضريح لأحد الاولياء عرف بذلك الاسم ولا يزال قبره موجودا بجبانة سيدي خريبش ، فان الاسم كان لا بد أن يكون موجودا ومتعارفا عليه لدى السكان المحليين ، واولئك الذين كانوا يفدون الى المنطقة اما للتجارة برا أو بحرا أو وهو الاقل للذهاب الى الاماكن المقدسة والعودة منها . ومهما يكن من أمر فان وجود مكان لمركز عمراني يحمل الاسم الحالي سواء أكان مضافا اليه ، أو نوحده فهي حقيقة لا يمكن الجدال حولها .

واذا كانت بنغازي اليوم تمثل ثاني أكبر مدن الجماهيرية ، وفاقت في عدد سكانها ، ونموها العمراني وما تقدمه من خدمات ، جملة مدن الساحل الليبي خارج مخطط مدينة طرابلس ، فان سرا ما لا بد وأن يكون قد أدى فعله لتحظى هذه المدينة بهذا المركز المرموق ، رغم أنها

---

٧ ــ د. هادي أبو لقمة ، مجلة كلية الآداب ، نفس المرجع ، ص ٢٣٥ .

٨ ــ د. جمال حمدان ، نفس المرجع ، ص ٥٩ .

٩ Hadi, Bulugma. Benghazi Through the Ages. p. 44.

تكاد تكون في وضع أكثر سوءا بالنسبة لامكانيات ظهرها المباشر على الاقل .

وعرفت بنغازي القديمة ، حسب المعلومات المتوفرة الآن بتاريخ لا يزيد كثيرا عن سنة ٥١٥ ق.م[١٠] حين وصلت الى مكانها مجموعة من المستوطنين الاغريق الذين عرفوا أكثر من مكان واحد على شاطىء برقة الشمالي ، مختارين في البداية أكثر الاماكن ملاءمة للتوطن والاستقرار ، ثم اختيار مراكز دفاعية لحماية ما قاموا بانجازه ، بعد أن ساءت علاقتهم مع القبائل الليبية التي بدأت تدرك النوايا الحقيقية لمن جاء بهم البحر ، طلبا للعيش ، بعد أن ضاقت بهم سبل الحياة في بلدهم ، والذين ما ان اشتد عودهم حتى أفصحوا عن مطامعهم الدفينة في استعمار هذا الجزء باجلاء سكانه الى جهات أقل جذبا وأكثر صعوبة لتوفير متطلبات الحياة آن ذاك .

« وفي شرقنا العربي عشرات الامثلة لهذا النوع (من المدن) التي ظهرت نتيجة للصراع بين الرمل والطين ، أو بين الاستقرار والترحل ومنها مدن حلفا وقصر ابريم وبنغازي »[١١] .

وتحدث عدد من المؤرخين والجغرافيين القدامى عن نهر أسطوري وحدائق وبحيرة أسطورية بالقرب من بنغازي .. أما النهر فهو نهر الليثون .. المليء بأنواع كثيرة من الاسماك وثعابين الماء .. ، كما تنمو في المناطق المجاورة له كميات ضخمة من الخرشوف الذي يستخدمه الجنود كطعام .. ، أما الحدائق فهي حدائق ، ومعنى الاسم الحوريات اللائي يعشن في أقصى غرب الأرض حيث يحرسن التفاحات

---

١٠ ـ Hadi, Bulugma., op. cit., p. 37.

١١ ـ د. جمال حمدان ، نفس المرجع ، ص ١٨ .

الذهبية .. ، ومن الجدير بالذكر أن الرمز المألوف لنقود يوسبريدس هو غصن التفاح ، أما البحيرة فهي بحيرة ، التي يؤكد استرايون أنها تقع بالقرب من بنغازي .. وفيها جزيرة مقام عليها معبد الآلهة افروديت ، ولكن الآثار لم تكشف عن وجود معبد في سبخة السلماني وهي المستنقع الكبير الذي يقع بالقرب من المدينة[١٢] .

لعبت مقاومة الليبيين المستمرة ضد المستوطنين الاغريق في اقليم بنغازي واحتمال استمرار تراكم الارسابات في البحيرة السابقة الى نقل المدينة الى مكان يوفر حماية أكثر فعالية ، ويسهل عملية الاتصال البحري من جهة أخرى .. ولهذا نقلت المدينة على الشريط الساحلي بين البحر والمستنقع الكبير[١٣] .

وقد وجد الاغريق في هذه المناسبة التي تمت أيام زواج الاميرة وريثة عرش سيريني من الملك بطليموس الثالث سنة ٢٤٩ ق.م اطلاق اسم الاميرة على المكان الجديد ، الذي أصبح الاسم الشائع والذي استمر مع تحريف بسيط في النطق حتى بعد الفتح العربي بل وحتى لزمن ليس بالبعيد .

ومما تجدر الاشارة اليه أن البكري ، لم يشر الى الاسم مع أنه ذكر كل من برقة واجدابيا ، هذا وفي حين أشار الادريسي الذي كتب في منتصف القرن الثاني عشر أي بعد مرور قرن الى أن المنطقة الواقعة ما بين المرج واجدابيا تعرف باسم برنيق لدى السكان المحليين .

ومهما يكن من أمر فان الثابت أن أهمية بنغازي القديمة تضاءلت

---

١٢ ـ الاستاذ رجب الاثرم ، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي ، بنغازي ١٩٧٠ م ، ص ٦٦ .

١٣ ـ رجب الاثرم ، نفس المرجع ، ص ١٢٧ .

بعد الفتح العربي ، نتيجة لاحلال نمط حيـاة وطابع معيشي مختلف واستحداث دين جديد كان لا بد له من أن ينتشر بل ويستمر انتشاره غربا مما جعل من منطقة سهل بنغازي مركز استقرار ونقطة عبور هامشية لتلك المناطق الواقعة عند الحد الجنوبي لمنطقة برقة البيضاء ممثلا في منطقة اجدابيا التي اكتشفت بها بعض الاثار الاسلامية ٠

لقد بات مؤكدا تشابه الاحوال المناخية التي تسود اليوم وتلك التي كانت سائدة أيام ازدهار بنغازي القديمة ٠٠ والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا المقام لنفسر به وعن طريقه كيفية ايجاد تلاؤم استطاع به سكانها ومن يعيشون في منطقة ظهيرها خلق ذلـك المركز العمراني والمحافظة على وجوده بل والوصول به الى مدينة تمكنت من صك عملة خاصة بها ٠٠ ان الاجابة لا بد وأن تندرج تحت ما نعرفه اليوم بالعامل أو العوامل الحضارية التي تستثني بل وتحتم الغاء فعل العوامل الطبيعية التي لا دخل للانسان حيالها وخاصة في تلك العهود الغابرة ٠٠ وهو ما يعني أن من عاشوا آن ذاك كانوا أكثر دراية وتفهما للظروف البيئية مما جعلهم يحققون نجاحا فيما كانوا يمارسونه من نشاط ارتبط مباشرة باستغلال ما توفره البيئة من رعي وصيد وزراعة محدودة ، « فقـد وصف هيرودوتس أراضي يوسبريدس بأنها جيدة فهي تغل في السنوات الخصبة محصولا يماثل كمية بذوره مائة مرة »[١٤] ٠٠ وقيام تبـادل تجاري لما كان يصل اليها عبر طرق القوافل الصحراوية ، أو تلك التي كانت ترسو بهـا السفن ٠٠ كما أمنت تمور منطقة أوجلة والواحات القريبـة جزءا هاما من مصدر قـوت السكان ٠٠ فقـد كانت قبيلة النامامونيس تترك في فصل الصيف قطعانها بجوار البحر وتذهب الى منطقة أوجلة لجني البلح من النخيل الذي ينمو هناك بوفرة كبيرة ٠٠

---

١٤ ـ رجب الاثرم ، نفس المرجع ، ص ٩٠ ٠

وعلى ذلك نستطيع القول : « ان سكان المناطق الساحلية وسكان الواحات يعيشون عيشة شبه مستقرة ، لوفرة المياه نسبيا ، حيث كانوا يزاولون حرفة الزراعة ، وتربية الحيوان ، بينما يعيش باقي السكان حياة الترحال حيث يزاولون حرفة الصيد والرعي هذا بالاضافة الى مزاولة التجارة »[١٥] .

وفي هذا الخصوص لا بد من الاشارة بل والتأكيد الى أن شهرة اقليم برقة وبالذات ما بين منطقة خليج بمبة شرقا ومنطقة سرت غربا وعلى الاخص في المنطقة القريبة من يوسبريدس وعلى مسافة تزيد على خمسمائة ميل ، قد اقترنت خلال تلك العصور بما عرف بنبات السلفيوم الذي يطلق عليه البعض اسم الدواء الشافي .

ولهذا النبات الذي اشتهر في تلك الفترةفوائد عديدة منها أنه يعتبر علفا ممتازا للماشية .. كما يعتبر من الخضراوات الممتازة .. وكان من أهم ذلك كله عصير السلفيوم الذي يستخرج من جذور النبات وسيقانه .. ويجهز منه عقار طبي .. وكان هذا النبات يباع بما يساوي وزنه فضة ، وكانت الكميات المرسلة منه الى روما تحفظ في الخزانة العامة شأنه في ذلك شأن الذهب والفضة .

وبمرور الوقت أخذ نبات السلفيوم في الانقراض التدريجي من ذلك مثلا أن الامبراطور نيرون تلقى ساقا من السلفيوم كهدية عظيمة القدر[١٦] .. ويمكن اجمال الآراء التي آلت الى انقراض هذا المورد ، الذي كان نموه يتجدد تلقائيا الى فعل استنزاف طاقة المراعي[١٧] وحرص

---

١٥ ـ رجب الاثرم ، نفس المرجع ، ص ٦٩ و ٧٠ .

١٦ ـ نفس المرجع ، ص ١١٦ .

١٧ ـ يؤكد الدكتور باولو دي لاشيلا (ان أكل نبات السلفيوم يؤدي بالحيوانات الى حالة من الدوار قد تؤدي الى موتها) .

الليبيين على حرمان الاغريق من مصدر دخل بالغ الاهمية وذلك بنزع جذوره ، اما قصد الاتلاف المتعمد ، أو للحرص على تجميع أكبر ما يمكن من العصير قصد الاتجار به .

جاء وصول بعض سفن السلطات التركية ، التي تحركت من ميناء طرابلس قصد اتمام سيطرتهم على الجزء الشرقي مما كان يعرف بولاية طرابلس ، بمحض الصدفة التي قدر لها أن تؤتي ثمارها حيث قرروا الاقامة هناك رغم أنها كانت مجرد قرية صغيرة كانت تخدم حاجة التجار الطرابلسيين الذين كانت لهم علاقات تجارية مع بعض أجزاء الجبل الاخضر وخاصة مدينة درنة ، ومع الوقت تحولت بنغازي الى قائمقامية آن لها أن تجدد من ثوبها لتصبح أهلا لاقامة نائب ممثل حكم الاستانة في هذا الجزء من الساحل الافريقي ، فشيد قصر الحكومة وأنشئت بعض المرافق ، وأصلح من حال مرفئها وافتتحت أيضا وهي الأهم بعض المنشآت العسكرية التي كان عليها أن تكون مستعدة دوما لارهاب البدو ، ولينطلق منها جباة الضرائب ذلك الشبح المفزع لجميع السكان وفي أي مكان ، لان ما يوفره هؤلاء بغض النظر عن الواقع ، هو الشغل الذي لا شغل يدنو منه في الاهمية لدى جميع من تناولوا الحكم وسكنوا قصر الحكومة في بنغازي ، التي كانت كثيرا ما تصاب بالقحط وتتعرض لكثير من الاوبئة[١٨] .

كانت مدينة بنغازي ، المقر الاداري الثاني بعد طرابلس ، لتوطيد ركائز حكم الباب العالي ومع ذلك فقد بقيت دون عناية تمكنها من أن تساير وظيفة مركزها الاداري فباستثناء ربطها بطريق ترابي يربطها مع ضاحية البركة بقيت مركزا عمرانيا تحيط بها البرك والمستنقعات ، وتتحول شوارعها الى بحيرات تزخر بمختلف أنواع البعوض والناموس

---

١٨ - Hadi, Bulugma, op. cit., p. 48.

وكانت أكوام الملح التي يجمعها الاهالي طلبا لسعر بخس تشكل مظهرا يتكرر تواجده وان كان مقر الحديقة التي لا تبعد كثيرا عن كلية الهندسة الآن ، يمثل نقطة التجمع الرئيسية حتى ان الايطاليين أطلقوا عليه اسم « ميدان الملح » لكثرة ما يجمع فيه انتظارا لتصديره ، رغم أنهـا اليوم تعيش على ما تأتي به السفن من هذه المادة التي لم يمن الله على بنغازي بشيء أكثر منها لو خصص مجهود ضئيل لفعل ذلك[١٩] .

وهكذا ظلت بنغازي محرومة من سبل الاتصال البري مـع سكان الدواخل الذيـن كانوا يفدون اليهـا لبيع منتجاتهم الزراعية وللحصول على ما يمكنهم من حاجيات كان جلبها يحتكره التجـار اليهود .

كان على السلطات الايطالية أن تركز اهتمامها الاول على احتلال بنغازي للتسهيلات البحرية المحدودة المتوفرة ، التي ستشكل دون ريب الشريان النابض لانزال قوة حربيـة سيكون في مقدورها التمكن من السيطرة السهلة على المدينة ، من جهة ولامكان الدفاع عنها ضد أية مقاومة محتملة لامتداد حزام سهلي حول حدودها الداخلية ... وهكذا لعب ضمان انعدام أية تهديدات لاصول ايطاليـا الغازية من البحر ، وسهولة امكان انشاء سور ، يراقب عسكريا ، باعطاء الايطاليين الفرصة الذهبية لانجاز استعداداتهم العسكرية لغزو المناطق الداخلية ، وخاصة بعد ما تبين لهم أن احتلال هذا الجزء لن يكون نزهة عسكرية ذات مردود مجز ، بعد تجربتهم المريرة مع سكان الساحل الطرابلسي .

---

١٩ ـ كان الملح يصدر الى كل من تركيا ، مصر وسوريا ، أيام الحكـم التركي الاخيرة . أما في عهد الاحتلال الايطالي فقد نظمت عملية استخراجه من مساحة حوالي عشرين هكتارا ، موزعة على سبخات جليانة ، قاريونس ، قنفودة والسلماني ، ووصل انتاجه في عام ١٩٣٢ م الى أكثر من ٣٠ ألف طـن .

كان تحصين المدينة بالشروع في انشاء مجموعة من الثكنات العسكرية واصلاح ظروف الميناء ، ومد شبكات المياه والمجاري ، والقسوة في معاملة الاهلين العزل ، والاغراء المادي للفئة الضالة ، وخلق اتصال جدي والتخطيط للاقامة الدائمة بمد شبكة الطرق البرية والسكة الحديد ، انطلاق خلق مدينة أوربية الطابع ودون المساس بالهيكل الذي وجدوا المدينة عليه الآن فيما ارتؤوه ضروريا لذلك وسمحت به ظروفهم التي استمرت تشكل وبالا عليهم الى نهاية العام الاول في عقد الاربعينات حيث استشهد شيخ الشهداء عمر المختار .. كان هذا الحدث رمز فرض سيطرة الاحتلال الايطالي الكامل ، ذلك الاحتلال الذي لم ينعم طويلا بما خطط له زعماء الفاشست اذ لم تطل الايام حتى عادت بوادر البلاء تلوح في الافق من جديد بتورطهم في خضم معركة الحرب العالميه الثانية التي قدر لها لتنهي مصير أكبر ديكتاتورية عرفها التاريخ الحديث .. كانت النتائج مذهلة فقد تحققت ضمن نتائجها انهاء تلك الفترة الحالكة الظلام من تاريخ الشعب الليبي ، وكان نصيب مدينة بنغازي بوجهيها الاوربي والافريقي العربي تعرضها لأكثر من ألف ومائة غارة جوية عدا ذلك الدمار الذي صحب عمليات تبادلها ، بين الاطراف المتحاربة ، خمسة مرات ، مما جعلها توصف بأنها أضحت مدينة أشباح لا أكثر ولا أقل[٢٠] .

بدأ سكان المدينة بالعودة اليها ، ليعيشوا وسط أكوام الانقاض ، وظروف اقتصادية في منتهى القسوة ، وفي وضع صحي لا يحسدون عليه ناهيك عن استحالة فعليـة لخلق متطلبات التعليم الاولي ... كانت الظروف بحق مثقلة بعبء ثقيل حالت دون تحقيق أحلام السكان التي كانت تراودهم بفوز الحلفاء .

---

٢٠ ـ Hadi, Bulugma, op. cit., p. 48.

لقد عملت الادارة البريطانية على محاولة تحسين الوضع الاقتصادي بخلق بعض فرص العمل مع قواتها ، ومحاولة اصلاح بعض المباني لادارة الخدمات الاساسية والكهرباء والمياه واصلاح بعض الطرق ولذا فتحت بعض المدارس ، وتم تطهير الميناء واعادة الاتصال الجوي وعادت شرايين المدينة الى التحرك المنهك حتى بدأ البحث والتنقيب عن النفط في العديد من الجهات ، ذلك أن الفترة التي سبقت البـدء الفعلي للاستثمارات البترولية لم يكن بامكانها فعل الكثير ليخفي ذلك الوجه البشع الذي تركت عليه المدينة منذ انتهاء الحرب رغم أنها أصبحت تتناوب مركـز حكم المملكة آن ذاك ، والذي ما استمر طويلا حتى أوشك أثره على الاندثار حين تم اختيار البيضاء لتصبح العاصمة الادارية ولتستأثـر بنصيب الاسد من جملة الانفاق العام للدولة ، تاركة المراكز العمرانية الاخرى تعاني من سالف ما قاست منه • والواقع أنه لولا موقع بنغازي وامكانياتها المتاحة عندئذ لما تحققت لها تلك الاستفادة التي حظيت بها من جراء البحث عن مصدر الذهب الاسود في تاريخ لاحق ومع ذلك فان المشاريع التي استهدفت تطوير المدينة ومكنت بالفعل من مضاعفة فرص بعث خطة شاملة لتطوير المدينة بانهاء دراسة مخطط المدينة لغاية سنة ألفين يمكن حصرها تحت مجموعتين حسب أهميتها وهي :

أ ــ انشاء ميناء بنغازي الجديد •

ب ــ مشروع المدينة الرياضية •

ج ــ مشروع مياه بنينة •

د ــ ارساء مشروع المدينة الجامعية •

هـ ــ البدء في مشروع المجاري المتكامل •

و ــ انشاء مبنى البريد والمجمعين الاداريين •

أما المجموعة الثانية فتشمل :

أ ــ انشاء مجموعات من المساكن الشعبية •

ب ــ التوسع في صيانة وانشاء المرافق الصحية والمدارس وبعض المساجد ومصيف جليانة •

جـ ــ ترميم واصلاح مرافق المطار وربطه بطريق سريع •

د ــ استفادة المدينة من اتمام الطريق الساحلي ، وهنا لا بــد من الاشارة الى أن المدينة قد شهدت دفن ذلك الخط الحديدي الذي كان يربطها بمدينة المرج القديمة •

أما بعد قيام الثورة فقد شهدت ، مدينة البيان الاول ، انطلاقة جدية في أكثر من مجال • واستهدفت ابراز مجابهة اختناقات المدينة في مجالي الاسكان والتعليم اذ أقيم العديد من مراكز وحدات البيوت الشعبية بمختلف أنواعها ، وأنشئت العشرات من المدارس لمختلف مراحل التعليم بما في ذلك انهاء مشروع المدينة الجامعية ، والمجمع الطبي والمستشفى المركزي ومرافق المدينة الرياضية ، وكذا حدائق وطرق البحيرة التي تتصل بها ، ومشروع الحي الصناعي ، وأوشك العمل على نهايته في مشروع حديقة الحيوانات ، التي ستخلق متنفسا لقضاء الوقت الممتع بعد أن كانت كماً مهملا ، كما أولي اهتمام بالغ لحل مشكلة المجاري التي بات جميع الناس يتراهنون على موعد الانتهاء منها ، كما أضيفت عدة أرصفة جديدة بالميناء لتلبي سرعة تفريغ حمولة السفن الراسية خارجه ، وبدىء في تنفيذ باقي مشروع الكورنيش والمخطط الجديد لمنطقة الصابري ، الذي سيحول حال هذه المنطقة الى أحدث وأجمل بقعة في هذه المنطقة ، كذا مشروع البحيرات الصناعية واستحداث مجموعة من مكاتب البريد ، ومطابع الثورة ، والاسواق المجمعة ،

والفرعية ، ويجري الانتهاء من رصف جميع طرقات المدينة التي استكملت انارة غالبيتها[٢١] .

ونظرا للنمو العشوائي في أغلب أجزاء مدينة بنغازي ، وخاصة في الاحياء القديمة كان لا بد من اجراء عمليات اعادة تخطيطها كما في أغلب أجزاء المدينة القديمة ، ومنطقة الصابري ، وهي البركة ومعظم ان لم يكن جميع الجهات الواقعة على طول الطريق الدائري ، كما أزيلت السلخانة من مكانها وحولت جبانة سيدي الشريف الى حديقة عامة ، هذا عدا عشرات الحدائق الاخرى ، والتي مع الاسف ، لا تزال تلاقي اعتراض بعض الناس على انشائها بحجة الحاجة الى بناء مساكن لهم ، وجهل الكثيرين بفوائد المساحات الخضراء داخل التجمعات السكنية ، ولما تلاقيه من عبث الكثيرين جدا من الاطفال .

هذه هي مدينة بنغازي التي يقدر أن يصل عدد سكانها في نهاية العام الحالي الى أكثر قليلا من ٣٨٠ ألفا[٢٢] مما يوضح أن عدد سكانها

---

٢١ ـ ستشهد بنغازي بناء أكبر عمارة في الجماهيرية ، حيث أوشكت الاجراءات على الانتهاء من وضع اللمسات الاخيرة لتشييد ناطحة السحاب الاولى ، بمنطقة الكيش المكونة من خمسين دورا ، وتضم كافة المرافق المتوفرة في مثل هذا النوع من المباني .

كما شرع في بناء فندق للضمان الاجتماعي على طرف الميناء الداخلي قرب الكوبري جليانة (٢٤٠ حجرة + ٢٤ جناح) وفندق شركة ليبيا للتأمين المكونة من ٦٥٠ حجرة مع جميع المرافق اللازمة ، في المنطقة المواجهة لمصيف جليانه . كما تم التعاقد على انشاء ٧٠٠٠ وحدة سكنية موزعة على معظم أجزاء المدينة وبالذات على الطريق الدائري لتحل بذلك محل الورش والمخازن القديمة التي كانت تشغل أراض ممتازة الموقع ومظهرة المدينة وكأنها أبعد ما تكون عما هي عليه في الواقع .

٢٢ ـ أمانة التخطيط ، الاسقاطات السكانية للسكان الليبيين ، حسب البلديات ١٩٧٥ ـ ٢٠٠٠ ، ص ٣١ .

قد زاد بما يقرب من ربع مليون نسمة منذ عام ١٩٦٤ م[٢٣] .. أي أكثر قليلا من ٢٠٠٪ . انها ظاهرة لا يمكن ارجاعها الى ما يعرف بالنمو الطبيعي ، انها زيادة ترجع الى الهجرة المستمرة باعتبار أن المدينة ظلت طوال هذه الفترة بؤرة جذب ولكن أي جذب وأي سحر أرخى ظلاله عليها حتى تستقطب وتفي باحتياجات ومتطلبات هذا العدد الهائل من السكان ؟ انه سؤال متروك للاجهزة المختلفة التي تسير تصريف شؤون هذه المدينة التي لا تزال تعيش وتنمو دون ارتباط عضوي فعال سوى مع ذلك المنفذ الذي يربط أرصفة مينائها باستقبال منتجات العالم[٢٤] انها مدينة كسيحة تستقبل ولا تودع، تستهلك ولا تنتج انها فقط تفاضل بين هذه وتلك من السلع .

واذا كانت عملية التفاضل مرفوضة لمن لا يفكر محاولة تغيير الواقع الى الافضل ، فانها تصبح مطلبا يجب الاخذ به عندما يصبح الهدف تعويض بل واثراء ما يلمس من نواقص ، لكادر مخططي المدن ، الذي تحولت فكرته الى بداية عمل يرنو الى توفير الفنيين الذين سيصبح في امكانهم تطوير مدننا ومراكز العمران اجمالا ، وجعلها تلائم حياة العصر ، وتعكس تراثنا ، وتؤمن ولو جزءا من طموحاتنا لمستقبل أفضل، ومسايرة لان تكون أصالتنا نبراسا لما سنتركه حتى لانستحق أن نوصف بالسطحية التي تأخذ بكل ما هو جديد لتوفر الامكانيات المادية ، لمجرد أن يكون حديث المظهر ، وان لم نعثر له على أثر يوضح هويته .

ان اختيار ارتباط هذا المولود مع جامعة هلسنكي التقنية ، لم يأت اعتباطا ، وانما جاء نتيجة تفاضل بين أهم الجامعات التي تركت بصماتها

---

٢٣ ـ اقليم بنغازي ، المخطط الاقليمي تقرير رقم ٢٢ ، ص٠ب ٥ .

٢٤ ـ تجري الآن اعداد دراسات للتخطيط الشامل لاقليم بنغازي والاقاليم الاخرى من قبل مؤسسة دوكسادس للتنمية .

واضحة في تطوير هذا العلم ، والتي أبدت كامل استعدادها بعد مناقشات مستفيضة انصبت كلها ، ودون أية اعتبارات خارج الاطار الاكاديمي ، لان تعد وتباشر وتشرف على الجانب العلمي حتى يتم تخريج الفوج الاول الذي سيكون طلائعه نواة هيئة التدريس ، بعد استكمال مؤهلاتهم العليا مباشرة بالجامعة المذكورة .

صحيح أن عالم عصر الفضاء لم يعد يسمح بالتقوقع لان العلم والمعرفة لم يعودا انتاجا يحمل جوازا للمرور ، ولكن أليس بالصحيح أيضا أن كل الامم تعيش حياتها وفق معطيات ارتبطت بواقع تشكل بفعل مجموعة من العوامل والمعطيات انصهرت مع بعضها لتوجد طابعا يميز مجموعة عن أخرى بين أناس لا يفصل بينهم سوى خط وهمي للحدود ، أو حتى داخل مناطق أو مدن وقرى البلد الواحد ، أو داخل أحياء المدينة الواحدة أو حتى بين شارع وثان .

لقد ترك المخططون الايطاليون المدينة العربية على حالها ، وأقاموا أحياء أوربية المظهر ، ايطالية الطابع ، فاشستية الغطرسة ، مسيحية النزعة ، انها عملية مفاضلة بين افريقيا المتأخرة ، وأوربا قمة التقدم ، انها العملية الفصل بين السيد والمسود .

ومهما يكن من أمر ، فان ما وجدت عليه بنغازي العربية من نمو عشوائي ارتكز كما هو الحال مع معظم المدن العربية القديمة ، حول نواة مسجدها الرئيسي والطرق المؤدية اليه حيث تتركز المعاملات التجارية ودكاكين الحرفيين والمقاهي .. التي قد تتداخل مع منازل جلها من دور واحد ، أو قد تنتشر على شوارع وأزقة ضيقة لا تأخذ اتجاها واحدا في أغلب الاحيان ، والتي يسكنها أناس ذوي صلة أو نسب ، وتتميز هذه المنازل ، التي تضم الأسرة بكاملها حيث يعيش الجد مع الحفيد ، انها مفتوحة السقف وبها بئر أو صهريج لحفظ مياه المطر . ان

مثل هذا المقر الحضاري لا يجب أن يشكل لنا نحن اليوم عقدة التخلف . ويدعونا لان نسرع الخطى ونأتي على ما بقي منها حتى نبدو وكأننا نسابق عصر الاقمار الصناعية .

انني أومن أن بنغازي التي تركها الايطاليون على حالها لترينا أين وقفوا هم منا ، يجب أن نحافظ عليهـا ، ولو على الاقل جزءا منها ، لا لشيء سوى لتأكيد حقيقة أنها كانت تمثل بالنسبة لنا قمة ما وصل اليه أجدادنا من رقي مستغلين في ذلك ما كان بامكانهم من مواد آوليه.. انها الماضي الذي اذا طمسناه فلن نكون أهلا لنقدر الحاضر حق قدره.. اننا سنكون كمن يخجل أن يكون هذا الكهل جده أو أباه .

ان تغيير سمة بنغازي ، بحجة التطور ، يجب أن يوقف ولو عند حد معين ، لان تقدم اليوم اذا لم يع ما كان للامس سينهار لا محالة ، وخاصة في مثل حالنا حيث نقف لنستقبل حتى معدات الهدم والازالة .

كان على بنغازي أن تعمل جاهدة لتلبي وتساير تلك الحركة التي يتطلبها البحث المستمر عن النفط بحكم تسهيلاتها البحرية وقربها النسبي من أماكن التنقيب كان الكل يحس بضرورة أن تقف البلدية ــ جهاز ــ الخدمات الاول ، على ساقيها ولكن كيف يمكن تحقيق ذلك في غياب ضآلة الامكانيات المادية وندرة حتى من يقوم بالاعمال المكتبية البسيطة، في الوقت الذي كان رئيس هذا الجهاز يمثل وظيفة سياسية لخدمة شد أزر النظام بالدرجة الاولى . ومع الوقت بدأت الاستعانة ببعض الفئات الفنية الاجنبية وبدىء في تكوين جهاز فني يتولى شئون هذا القطاع الذي استمر لفترة طويلة يعمل في غياب العناصر الفنية الوطنية التي بدأت ولمدة ليست بالطويلة تمسك زمام الامور ، وتعمل للحق بقدرة تفوق طاقتها للتغلب على مشاكل فنية قد لا تكون من صميم تخصصهم الاصلي ، لان غياب مؤهلي مخططي المدن والتخطيط العمراني لايزالون

خارج ميدان العمل لعدم تواجدهم وبالعدد الكافي حتى هذا الوقت ، ناهيك عن حقيقة أن خريجي الدفعات الاولى لن يصلوا درجة العطاء الأمثل الا مع بداية القرن الجديد حين يتجاوز سكانها ثلاثة أرباع المليون[٢٥] .

أما من جهة نمو المدن والمراكز العمرانية بصفة عامة فان تقديرات نموها تبلغ حوالي ٢٠٪ كل سنة ، وفي هذا ما يجعلها ضمن أسرع بلاد العالم تحولا الى نمط الحياة العمرانية[٢٦] .

ومهما يكن من أمر فان نمو مدينة بنغازي ، قد اقترن ببعض الصعوبات التي ترجع في أساسها الى عوامل طبيعية تمثلت في المقام الاول في الظروف الطبوغرافية ، التي شكلت مظاهر سطح وان تنوعت الا أنها قد تكون عوامل طرد أكثر من أن تؤدي وظيفة جذب ، ولتسمح بالتالي بالنمو العمراني الميسر فتباين المظهر التضاريسي بين خط ساحل منبسط في جملته ، وانتشار بعض الكثبان الرملية وحلقة تكاد تطوق جميع جهات مدينة ما قبل الاحتلال الايطالي من السبخات ، وندرة مع رداءة للمصدر المائي ، وظهير شبه قاري لا يوفر الا بعض مستلزمات حياة الاستقرار[٢٧] .

---

٢٥ ـ يحدد تقرير المخطط الاقليمي رقم ٢٢ لسنة ١٩٨٠ م عدد السكان ٥٠٠ر٧٤٣ نسمة ، في حين يصل الرقم الى ٠٠٠ر٨٣٧ في تقرير أمانة التخطيط، الاسقاطات السكانية للسكان الليبيين حسب البلديات ١٩٧٥/٢٠٠٠ م ، بتاريخ مايو ١٩٨١ م .

٢٦ ـ التقرير المبدئي لخبراء جامعة هلسنكي سنة ١٩٧٩ م ، ص ٣٣ .

٢٧ ـ يصف ج. ديسبوا J. Despois بنغازي فيقول : « توجد العاصمة (بنغازي) في أسوأ موقع في منطقة اقليم برقة الشمالي . الاستعمار الايطالي في ليبيا (طرقه ومشاكله) ص ٥٢ .

وهنا لا بد من الاشارة الى أن بنغازي القديمة قد أنشئت لغرض استراتيجي بحت تمثل في أن تكون الاسفين أو الحربة التي استخدمت لتقلل من أثر خطر الرعاة ضد السكان المستقرين ، وهي الوظيفة التي أنيطت بها خلال حكمي الاغريق والرومان ، والتي لم تعد لتلق القبول أو التشجيع حين تغير نمط الحياة بعد الفتح العربي • والذي أريد أن أشير اليه هو أن مؤشر قيام واستمرار أداء الوظيفة العسكرية قد صرف النظر عنه ، وما تبع ذلك من استمرار تضاءل في الاهمية نتيجة لسوء الموقع المثقل بظهير محدود الفعالية مما حولها الى أن تصبح مجرد محط للرحال بين سكان الساحل الطرابلسي ومنطقة الجبل الاخضر ، ومع محاولة الاتراك بسط سيطرتهم على اقليم بنغازي شاءت الظروف أن يكون مرسى ابن بنغازي أول مكان ينزلون به ، بعد أن عصفت العواصف بسفنهم وحملتهم على اللجوء الى البر حيث راق لهم المكان وبدأوا في بناء مقر لادارة الحكم وتحصينات عسكرية لا لغرض الحماية فقط بل وهو الاهم لتكون منطلقا لرجال جمع الضرائب • لقد أنيطت الى بنغازي وظيفة جديدة ، وربما لاول مرة ، اذ أصبحت مركزا لادارة شئون المنطقة بكاملها • لقد عجزت بنغازي طوال تاريخها السابق لتحظى بشرف مركز العاصمة وهكذا تلازمت الوظيفتان العسكرية وتصريف شئون الادارة المحلية وأصبحتا السمتان اللتان لازمتاها بعد ذلك وحتى مدة قصيرة خلت باستثناء تلك الفترة الوجيزة التي تناوبت فيها مركز العاصمة مع طرابلس ابان العهد السابق لثورة الفاتح •

لقد أضفى الايطاليون على بنغازي بوظيفتيها السابقتين بعدا يتمشى مع أطماعهم في خلق امبراطورية تعيد سابق مجد روما القديمة ، فكان لا بد اذن من استحداث ثوب جديد ينبىء عن وصول أوربا بجبروتها العسكري ، وتقدمها الصناعي وأحقيتها في استعباد المستضعفين فحصنت أطراف المدينة بمجموعة من الثكنات العسكرية وبدأ العمل الذي أريد

نه مواكبة أحلام استراتيجية السيطرة الكاملة على البحر المتوسط • كان العمل شاقا ، وكانت التكاليف باهظة وحقق الايطاليون ولو الحد الادنى ، لتطلعاتهم التي آلت على نفسها الا أن تجعل منهم معولا لهدم ما كرسوا أنفسهم لتشييده •

لقد حملت بداية السبعينات ، رجال الثورة الى تطوير واستحداث مزيد من الثكنات العسكرية تحسبا لأي طارىء ، مما زاد في تعميق فعالية بنغازي عسكريا ولو أن ذلك أصبح يؤثر على امتداد النمو العمراني المتصل والمتجانس الوظائف « اذ هناك نقصا تعاني منه المدينة والمتمثل في وقوع المنشآت العسكرية في أقسام حساسة جدا من المدينة مع وجود مناطق أخرى يمكن أن تخدم الاغراض العسكرية بصورة أفضل »[٢٨] •

وخلاصة القول ان نمو هذه المدينة قد اقترن ، وربما طوال تاريخها بالوظيفتين العسكرية والادارية وتحولها بالتالي الى مركز خدمات يولي وجهه صوب البحر ، لتوفير كل شيء ، ودون أن يتحول الى بيئة بحرية تترك أثرها في حياة السكان • انها المكان الذي تحاول فيه المشاق لتجد حاجتك من السمك في الوقت الذي تستقبل فيه الآلاف من الحيوانات الحية انتظارا لأجل محتوم •

لقد نمت مدينة بنغازي بشكل فاق كل التوقعات واستحدثت بها جملة من الاحياء وتغيرت حدودها الادارية ، واستطاعت ، وهو الاهم ، مواكبة توفير الخدمات الاساسية ولو بفعالية دون المتوسط كل ذلك في غياب المؤهلين من أبنائها الذين بدأوا منذ عشر سنوات فقط في ممارسة بعض عمليات الاشراف والذين لا يزالون دون الحد الادنى ، رغم أن

---

٢٨ ـ مؤسسة دوكسيادس ، المخطط الاقليمي ، تقرير رقم ٢٢ ص٠ب ٨

مهندسي تخطيط المدن المحليين لا يزالون خارج الصورة لعدم توفرهم أصلا ، ولن نستطيع أن نصل الى مستوى الدول المتقدمة ، قبل عشرين سنة من الآن ، في هذا الخصوص[٢٩] .

لقد أدى غياب المخطط الليبي الى أن تصبح عمليـة نمو المدينة ، وخاصة في مجال العمارة فاقدة لطابع يكون نابعا منها حتى انك تجد في الشارع الواحد أنماطا من المباني تعكس نقل نماذج من أكثر من بلد واحد ، وفي هذا ما يخلق شعورا بعدم الاطمئنان الى امعان النظر ومحاولة ايجاد ذلك الجمال الذي تشعر به حين تلقي نظرة على أحد الشوارع في المدن الاوربية التي لكل منها طابع مميز تنفرد به[٣٠] . ان المخطط وبغض النظر عن مؤهلاته ، لن يكون صادقا في رسم ما يخطط له ، الا بعد أن يكون مستوعبا لتاريخه ، واعيا لمحصلة واقعه الاجتماعي ، الاقتصادي والسياسي ، ومدركا للاهداف التي يسعى الى بلوغها . انها عملية شاقة ومعقدة وتحتاج الى امكانيات مادية وبشرية كما يلزمها وعي وادراك وتعاون الجميع .

لقد تمكنت بنغازي رغم بعض المساوىء ، من تحقيق نمو عمراني فاق أي مدينة أخرى على طول ساحـل افريقيا الشمالي ، واذا كانت لعمليات التوسع في البحث واستخراج وتصدير البترول أثر على الاقتصاد الليبي بالشكل الذي عرفه الجميع ، فان محصلات استفادة بنغازي انعكس أثره عليها دون غيرها لكونها ميناء التفريغ (ترانزيت) الاول لغالبية المستلزمات التي ارتبطت بتلك العمليات ، التي شارك ميناؤها الجوي بنصيب هو الآخر في سرعة أدائها .

---

٢٩ ـ التقرير المبدأي الاول ـ جامعة هلسنكي ص ١٧ .

٣٠ ـ د. الهادي أبو لقمة ـ مجلة كلية الآداب ، نفس المرجع ، ص ٢٣٩ .

لقد اقترن هذا العامل مع اضطراد نمو دخل الفرد الليبي وحتى بداية تطبيق مقولات النظرية العالمية الثالثة ، الى أن تتحول الوظيفة التجارية للمدينة الى الوظيفة الاولى ، وأصبحت بحق الى جانب ما توفره في هذا المجال لسكانها من خدمات التي يمتد أثرها ليشمل كل منطقة برقة والواحات القريبة وبعض جهات طرابلس أيضا الى مدينة ترانزيت من نوع جديد ، ذلك أن جزءا من وارداتها يشهد اعادة شحن مرة أخرى لصالح الكثيرين من غير الليبيين ممن يعملون بها « لقد أسهم الميناء البحري ببنغازي ، وميناء بنينه الجوي ، في تطوير المدينة الى مركز نقل يعج بالحركة ويخدم اقليم بنغازي والاقاليم المتاخمة له »[٣١] .

وهنا لا يفوتنا أن نذكر أن التسهيلات العقارية التي توفر باب الحصول عليها للكثيرين جدا من السكان قد أتت ثمارها هي الاخرى ، في ارتفاع مؤشر التوسع في مجالات التشييد والبناء التي خدمت هي الاخرى عمليات توسع النشاط التجاري ، مما ترتب عليه كأثر لتوفر السيولة الى ارتفاع في أسعار الارض وشدة الطلب على الايدي العاملة التي كان لغير الليبيين النصيب الآمر منها ، وخاصة في تلك الفترة التي واكبت ما عرف بمشروع التطوير العمراني الذي ترك أثره واضحا على توسع بنغازي وبالذات في مجال تشييد المباني التي تخدم أغراض التجارة والسكن[٣٢] .

وباختصار فان بنغازي التي تعيش اليوم تحت ظل مخطط عام حتى سنة الالفين ، والتي تشهد حاليا انجاز العديد من المخططات التي تهدم اعادة النظر ، ودراسة التخطيط الاقليمي لكل المنطقة ، لتستحق منا نظرة اكبار لان جملة ما يؤخذ عليها ، لن تكون حجر عثرة يستحيل

---

٣١ ـ مؤسسة دوكسيادس ، المخطط الاقليمي ، تقرير رقم ٢٢ .

٣٢ ـ نتائج حصر القوى العاملة ، ١٩٨٠ م ، ص ٦ .

ايجاد الحلول المناسبة لها حين تبدأ هي نفسها في توفير الشباب المؤهل الذين سيمسحون منها صبغة الكآبة التي يروق للكثيرين أن يصفوها بها رغم تخلصها كلية من أحياء الاكواخ والصفيح • لقد كان قرار ردم سبخة السلماني ، بدل تنظيفها وتعميقها وربطها بمياه متجددة من البحر ، عن طريق شريان عبر الطرف الجنوبي لحي الصابري وهو ما كان يحدث في بعض السنوات شتاء، قرارا أساء وأفقد المدينة سمة جمالية لن تعوضها، كما أن عملية التغاضي عن التقيد بوجوب استمرار امتداد الاقواس في المباني التي استحدثت بعد الخمسينات على امتداد الشوارع الرئيسيه ، قد ترك هو الآخر سمة فقدان التجانس المعماري وحرم المدينة من طابع شرقي المظهر وله ضرورة يتطلبها نوع المناخ السائد •

كما أن انشاء واستمرار وجود خزانات وقود جليانه ، في أنسب بقعة يمكن أن تضفي على واجهة المدينة البحرية ، أفضل ما يمكن أن يقام على أرضها لا يزال يحرمها ويشوه جمالها بل ويصوب مؤشر الخطر عليها • انه سوء تقدير ، وعجز في الرؤية ، كما يشير الى ذلك التغير المباشر في عرض الشارع الذي يمتد من مستشفى الجلاء وحتى التقائه بالطريق الدائري غير بعيـد عن جزيرة الادوار المؤدية الى المطار ، انه الطلب وارتفاع سعر الارض وغض النظر عن المصلحة العامة ، التي قد تكون هي الاخرى وراء ذلك القرار الذي قدر له خدمة تصريف مياه المدينة من الامطار الى البحر وكأن توفير أي قدر اضافي من المياه يضر بكل شيء وسيسهل عملية تكرير مياه البحر للاستهلاك بعد ذلك • انه قرار يشبه لحد ما قرار اختيار موقع مستشفى المدينة الجديد وما حوله من مجمعات طبية في أحد البقع القليلة الخضراء ، التي يظهر أن لا داعي لاستمرار وجودها ، رغم أن الموقع سيشكل عقبة بالنسبة لحركة المرور ومجالات التوسع في المستقبل ، ورغم توفر أماكن بديلة بالقرب من مخطط جامعة قاريونس •

كما أن قرار انشاء المجمع السكني الصناعي على طريق المدينة المطار لم يحالفه الحظ هو الآخر ، فباستثناء مصنع المعكرونة ، الكابلات والالبان ، لا توجد أية تجمعات صناعية بالمعنى المتعارف عليه ، والتي حتى وان وجدت فستكون في غير المكان الانسب لقيامها أصلا « ان المنطقة الصناعية الواقعة على طريق بنينة ، والمتاخمة لمناطق سكنية تسبب في ازعاج بيئي لعدم توافق الاستعمالين »[٣٣] .

وفي الوقت الذي أضفى فيه كوبري جليانة ، بهندسته الرائعة ، لمسة فنية أعطت للمكان مظهرا جماليا يشدك الى امعان النظر اليه ، فان ما أتى به الكوبريان الجاهزا الصنع في تقاطع طريق المطار ، بالطريق الدائري ، وطريق طرابلس يشدك الى عكس الانطباع الاول ولا يترك عندك أي شك في أن هذا العمل ما هو الا مجرد عملية تلفيقية لحل مشكلة المرور المتزايد التبعات مع كل يوم يمر ، وخاصة اذا أدركنا أن نمط شكل شبكة طرق بنغازي تتبع نمطا شعاعيا متحد المركز بصفة أساسية حيث تنطلق من مركز المدينة الى طرق دائرية مع النقص الواضح في أماكن وقوف السيارات ، واختناق المرور في أكثر المناطق[٣٤] .

كانت بنغازي من النقص الواضح في توفر المساحات الخضراء ، وكانت حديقة الحيوان أيضا من اهمال كان يجعلك تحس بالحسرة على كل شيء فيها ، كما أنها لا تزال تعاني من نقص توجيه الاعتناء الى المناطق ذات الجاذبية الطبيعية ممثلة في الشواطىء الرملية الممتازة (التي لا يجب المحافظة عليها فحسب بل وتطويرها مما يجعلها تلبي الاحتياجات الترفيهية للسكان)[٣٥] .

---

٣٣ ـ مؤسسة دوكسيادس ، اقليم بنغازي ، المخطط الاقليمي تقرير رقم ٢٢ ص٠ب ٧ ٠

٣٤ ـ نفس المرجع ، ص٠ب ٦ ٠

٣٥ ـ نفس المرجع ، ص ٨ ٠

كان المفروض أن تؤدي عائدات النفط الى تركيز وبلورة القوى العاملة في مجال النشاط والتنمية الزراعية ، الا أن ما حصل كان نقيضا للمؤمل يوم ذلك ، فهجرت الارض معظمها وتحول محترفوها الى النزوح الى المدن وخاصة بنغازي التي كانت تئن تحت وطأة توفير ما يلزم من خدمات ملائمة ، والتي لا تزال حتى اليوم تحتل مكان الصدار بالنسبة لاهتمامات أولي الامر مما يوضح أن مجال الاهتمام بتطوير الصناعة ولو التحويلية منها ، كان ولا يزال دون انراء يذكر رغم الضرورات القصوى التي فقدت معناها هي الأخرى بخصوص تطوير الامكانيات الزراعية سواء في منطقة الجبل أو في منطقة السهل الذي يحمل اسم المدينة .

بات الآن أن مساوىء موقع بنغازي لم تعد تشكل ذلك الحاجز الذي يقهر ، بعد التحولات التي مرت بها ، حيث أصبح في الامكان مواصلة الامتداد العمراني في ثلاث محاور رئيسية « اذ لا توجد بالقرب منها أية قيود طبغرافية تحد من توسعها ، كما لا تشكل الارض الزراعية عقبة في طريق توسع المدينة حيث أن العدد المحدود من المزارع محدود النطاق أيضا ، مما يسمح بعدم المساس بها كما يسري نفس الشيء على التخطيط العمراني حيث أن النمط الاشعاعي المتحد المركز للمدينة يسمح الى حد ما بنموها في كافة الاتجاهات على شكل ثلاث شعب في اتجاه بنينة ، القوارشة والكويفية .

ان الوقت لن يطول حين تصبح مدينة بنغازي في وضع ، ربما أكثر من جيد ، من حيث صلاحية وفعالية مرافق خدماتها في مجالات توفر الطاقة الكهربائية ، وشبكات المياه ، والهاتف ورصف جميع الشوارع وفتح شوارع جديدة واكتمال أكثر من طريق دائري واحد مع وجود طريق ساحلي ممتاز واتصال سهل مع مدن وقرى الداخل ، وميناء جوي

يخدم حوالي نصف مليون مسافر ، والذي سيتحول الى مطار عالمي حسب المشروع الجديد الذي لن يتأخر البدء في تنفيذه كثيرا .

وميناء زادت طاقة استيعابه على مليونين ونصف مليون طن وتنمية المصائف وتوفر العديد من الحدائق ومساحات الرياضة الجماهيرية ، مع توفر الخدمات الطبية ممثلا في العديد من المستشفيات والعيادات المجمعة والمستوصفات والمجمع الطبي ، وكلية الطب البشري وطب الاسنان ، وهو ما ينطبق على توفر خدمات التعليم بجميع مراحله متوجا في قرب اكتمال مراحل جامعتها على أحدث ما وصل اليه العالم في هذا الخصوص .

أصبح كل شيء يأخذ بآخر ما تتوصل اليه تكنولوجيا العصر ، مما بات معه تطوير أجهزة الخدمات بكل أشكالها ، لكي تتمكن ، على الاقل من حسن تسيير أمور هذه الخدمات ، لان أي تأخير ناهيك عن حدوث أي عطل ، لم يعد شيئا مقبولا لان الواجب أصبح لا يتطلب ايجاد العناصر التي تدين بالولاء وتسعى لخدمة مجتمعها فقط ولكنها وهو الأهم تبحث عن قدر معين من الكفايات البشرية يكون ولاؤها الاول مهنتها وعملها دون أي اعتبار آخر[٣٦] .

أنفقت الاموال على بنغازي وغيرها من مدن الجماهيرية بكل سخاء. وأعتقد أنه قد آن الأوان ، ان لم يكن قد فات بالفعل ، لان يبحث سكانها عن بطاقة هوية يستثمرونها لتوفير عائد يدعمون به ولو جزءا من جملة الانفاق العام ، اذ لا يعقل أن يعيش سدس سكان الجماهيرية في انتظار ما توفره خزينة الدولة من سيولة ، ودون أن يكد في سبيل ذلك أحد .

★ ★ ★

---

٣٦ ـ ادارة المدن الحديثة ، نفس المرجع ، ص ٢٤ .